

# عن اوراق

تعد اوراق البردى العربية من اهم المصادر التي تعين على دراسة تاريخ الامة العربية في حقبة معينة من الزمن ، وحينما تحدد تلك الحقبة وتتلد المصادر المعينة على دراستها تصبح اوراق البردى العربية اهم المصادر : ذلك ان العرب منذ دخلوا مصر فاتحين في السنة الثامنة عشرة للهجرة (١) والى ما بعد ذلك يعوالى ثلاثة قرون من الزمان ، ثم يتصد لتأريخ هذه المدة مؤرخ ثبت ، حتى قام ابن عبد الحكم فنون كتابه « فتوح مصر » (٢) وقد عاش منتصف القرن الثالث الهجرى \* ويعتبر - يعق - اول مؤرخ معتمد سجل أحداث فتح العرب مصر \* وابن عبدالحكم - حين أرخ للفتح - سار على نهج المؤرخين الذين سبقوه ، فقد كان - أولا - عالما بالعديث ، ثم أرخ للفتوح ويعدله بدأ المؤرخون يسجلون ومصدرهم « فتوح مصر لابن عبد الحكم » \*

غير أن اوراق البردى العربية التي عرفت في الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادى (٣) جاءت أصولا بمصادر لتاريخ العرب في مصر أول الفتح وقرونا هجرية بعده يقرب عددها من أربعة ، وهى اوراق البردى المصرية التي كتب عليها العرب منذ دخولهم مصر أو كلفوا عمالهم الأقباط الكتابة عليها ، حملت نصوصا عربية لم تكن تحملها الأوراق من قبل . فأوراق البردى كتب عليها المصريون منذ حوالى خمسين قرنا من الزمن (٤) بلفتحهم المصرية القديمة (٥) ثم كتب عليها اليونان بلفتحهم اليونانية



د. عبد العزيز الدالي

الأستاذ بكلية اللغة العربية جامعة  
الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

# البردى العربية

وكتب الأقباط بلفظهم القبطية حتى جاء العرب فكتبوا باللغة العربية ، بل كانت الكتابات الأولى - أول الفتح - باللغات الثلاث جميعا (اليونانية والقبطية والعربية) على الورقة الواحدة في كثير من الأحيان ، إلى أن عريت الدواوين في مصر سنة ٨٦ هـ (٦) ومن ذلك الوقت صارت الكتابة باللغة العربية فحسب إلا الأعداد وكسورها التي لزمّت في الأعمال الحسابية فقد كتبت كما كانت تكتب في اللغة اليونانية .

هذه الأوراق البردية صنعت من سلائخ ساق نبات البردى الذي ينمو في المستنقعات والمياه الملحة ، وهو نبات أفريقي بعامة ومصرى بخاصة (٧) ، هذه السلائخ من تقطيع ساق ذلك النبات يضم بعضها إلى البعض الآخر وتلصق وتجفف وتحك حتى تصقل فتصير قلعما تلصق وتسمى أدرجا وتقطع منها أوراق حسب المساحات المطلوبة ليكتب عليها ، (٨) وقد صنعها المصريون وصدروها إلى الأمم الأخرى حين كانت تحتل أوراق البردى المكائنة التي يحتلها الورق اليسوم (٩)

وحين أخرجت الكشف أوراق البردى كانت عليها كتابات باللغات المصرية القديمة واليونانية والقبطية ، ونشأت حولها دراسات سميت بعلم البرديات وكان مفهوم هذا العلم يصدق على البرديات بتلك اللغات فحسب ، وحينما ظهرت البرديات العربية تغير المفهوم أو اتسع ليشمل هذا النوع الأخير منها .

وتعمل هذه البرديات العربية نصوصا على جانب كبير من الخطر ، وهي كثيرة لم ينشر منها الا القليل ، والحديث عن النصوص العربية على أوراق البردي لا يمكن ان يتصف بالشمول ولا يدل على الاحاطة لان المدد التقريبي لهذه الأوراق يبلغ ستة عشر الف بردية (١٠) كانت كلها بمصر ثم خرج العدد الأكبر منها من مصر شرام أو غير شرام ، ولم يبق بمصر الا ما يقرب من ثلاثة آلاف بردية والباقي موزع بين مكتبات العالم في آسيا وأوروبا وأمريكا بجامعاته ومتاحفه ودور الكتب العامة به ، ولم يعن بنشره الا عدد قليل من العلماء والباحثين : فلم ينشر من الستة عشر ألف بردية الا ما يقرب من ثلاثة آلاف بردية ومن الثلاثة آلاف أقل من ألف من مجموعة بمصر والباقي لا يزال مطويا ، ونصف عدد الأوراق تقريبا تملكه مكتبة فينا بالنمسا التي تضم ثمانية آلاف بردية هريسية \*

وهذه الأوراق - الا ما ندر منها - مفرقة ، والعدد الأكبر منها مقطع وممزق والكتاب الكامل العربي الوحيد - حتى الآن - المكتوب على أوراق البردي هو كتاب في الحديث النبوي الشريف لأبي محمد عبدالله بن وهب الفهري المولود حوالي سنة ١٢٥هـ وقد عثر على الكتاب في ادفو بصعيد مصر ويشمل كتاب الأنساب وكتاب الصمت وكتاب اجناس من بني اسرائيل من جمع عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي ، وقد نشره وعلق عليه دافيد فيسل David Weill. وصدر ضمن مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة وطبع بمطبعة المعهد سنة ١٩٢٩ م \*

والبرديات العربية التي نشرت تعمل نصوصا تصور حياة العرب في مصر - اول الفتح - اصدق تصوير : فمنها معاملات يومية من عقود البيع او للايجار ومعاملات اجتماعية من عقود للزواج او للطلاق ، وما تشتمل عليه هذه العقود من توصية الزوجين بالمعاشرة بالمعروف او التسريح بإحسان ، والتزام اوامر الله سبحانه ، واتباع سنة نبيه صلوات الله عليه ، وعلاقات بين الحاكم والمحكوم من طلب لسداد الضرائب ، أو مطالب المحكومين الى الحكام وتوصية الحكام الكبار لمن هم دونهم في الحكم ، بالمحكومين : ليلتزموا معهم الرفق ويعكموا بالعدل ، ومواثيق من الفاتحين العرب قبل الناس بالقول والقسطن \* ويفطن القارئ المعنى باللفة الى ذلك النمط الذي صاغته تلك النصوص وما ضمت من لهجات للقبائل العربية التي جاءت الى مصر من أنحاء الجزيرة العربية المتفرقة (١١) تتعامل لغويا بلهجاتها الخاصة لاسيما وأن عمرو بن العاص قائد الجيش العربي الفاتح انزل العرب بمصر مجموعات متألفة ، انزلهم خطط القسطنطين حيث عاشوا مجموعات متفاهمة ، فحافظت على لهجاتها وعاداتها وتقاليدها التي جاءت بها من الجزيرة العربية ، كما يفطن - من خلال تلك النصوص الى اختلاط اللهجات بعد مدة معينة من الفتح ، وقد اختلطت اللهجات العربية فيما بينها ، ثم باللغة القبطية ، وبرواسب اللغتين اليونانية والفارسية ، وكونت من ذلك وفي قالب الطبيعة المصرية لهجة هي أساس اللهجة القائمة في مصر اليوم ، كما يلمس تأثر لهجات العرب بهذا الاختلاط أيضا ، هذا الاختلاط الذي قوى أواصره الامتزاج والتعامل والمصاهرة بين العرب وبين المصريين

فحين انتقلت اللغة العربية الى مصر ، استطاعت أن تفز مصر كما غزاها العرب ، وأن تستقر بها كما استقر العرب ، واضطر المصريون إلى أن يعدلوا العربية ، فلم يمتزج الا وقت يسير حتى ألف الآباء البطارقة كتبهم بالعربية مثل ابن البطريق رئيس الكنيسة وسأويرس بن المقفع صاحب سحر الأبناء البطارقة وغيرهما (١٢) وبعد الفتح العربي كانت اللغة العربية - أول الامر - في حيز محدود في مصر يتكلمها العرب ومن جاورهم من المصريين الذين اضطروا بحكم الجوار إلى أن يقتلوا بالفاتحين وأن يعرفوا لغتهم ، ثم ادخلت الاصطلاحات العربية في الدواوين فاضطر المصريون إلى أن يعرفوا لغة العرب ، كما كان لانتشار الدين الاسلامي في مصر اثر كبير في نشر اللغة العربية بين المصريين ، إذ اضطر من أسلم منهم إلى أن يتعلم اللغة العربية حتى يستطيع أن يقرأ القرآن الكريم واحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى أن يفهم دروس الفقه - وكان العرب يخرجون من ديارهم في الربيع ويتصلون بالمصريين في الريف فكان ذلك من أسباب انتشار اللغة العربية بين الشعب حتى اضطر المصريون إلى أن تقل عنايتهم باللغة القبطية (١٣) ، وانتشرت اللغة العربية في مصر حتى ذبلت اللغة القبطية ذاتها وتركها المصريون واهملوا شأنها حتى في أحوالهم الخاصة ، وذاغت لغة العرب وفشت في البلاد فبدأت منقوشة على النقود التي ضربت أول مرة سنة ٧٥ هـ واتخذت في الدواوين وكتابة الحكام ، وأول كتابة الدواوين باللغة العربية كان في سنة ٨٦ هـ (١٤) ، وكتب القديس شنودة مؤلفاته باللغة القبطية ثم اضطر إلى أن يكتبها مرة أخرى باللغة العربية حتى يتسنى للأقباط أن يقرأوها ، وبعد أن كانت مراسيم الكنيسة تقرأ باليونانية وتشرح بالقبطية ثم صارت بالقبطية فقط - قرأوها بالقبطية وشرحوها بالعربية وازداد الحاج الناس في ترجمة الكتب الدينية من اللغة القبطية إلى اللغة العربية (١٥) - وبعد الفتح أسرع الانحلال إلى العسكرة الرومانية الافريقية التي كانت بمصر ولم تمنح اللغة القبطية واليونانية دفعة واحدة بل قل استعمالهما تدريجاً وحلت محلها اللغة العربية والآداب العربية سائرة ببطء وثبات ، فقد روى عن خالد بن يزيد بن معاوية أنه أمر باحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي وأن هذا أول نقل في الاسلام من لغة إلى لغة (١٦)

وتأثرت اللغة العربية بالاصطلاحات المصرية فالمصريون هم الذين يحددون الجهات بالبحرى والقبلى ولا يقولون الشمالى والجنوبى (١٧) ، وعرف كثيرون من العرب اللغة القبطية وتماثلوا بها فقد قيل أن البطريق يوسف عندما حوكم سنة ٨٥٠ م خاطب رعيته باللغة القبطية بحضور عدد كبير من العرب ، وفهم العرب كل ما قاله وحذثوا به القاضى (١٨) ، وروى في أخبار القاضى خير بن نعيم أنه كان يسمع كلام القبط بلغتهم ، ويخاطبهم بها وكذلك شهادة الشهود منهم ، ويحكم بشهادتهم .

كما روى في خبر خروج الملوك بالفسطاط سنة ١٤٥ هـ أن ابن حديج وقف على الباب الذى ناحية بيت المال فكلم خالد بن سميد وهو فوق ظهر المسجد كلمته قبطية (١٩)

وزاد اختلاط العرب بالمصريين وتزوج العرب من نساء مصريات ، فلم يمتزج إلا زمن بعد الفتح حتى تكون في مصر شعب اسلامي عربي (٢٠) وكان نتيجة هذا الاختلاط أن نشأت لهجة للتفاهم بالعربية وكانت أساسا لل لهجة المصريين في استعمالهم اللغة العربية اليوم .

ومن ملامح هذه اللهجة تلك التي ظهرت واضحة في نصوص أوراق البردي تفقيف الهمز في لهجة المصريين وكانت هذه الظاهرة واضحة في لهجة العجازين في العصر الجاهلي ، وكسر حرف المضارعة في لهجة المصريين جاءهم من لهجة القبائل اليمنية الواقعة من الجزيرة العربية ولامح أخرى متنوعة تحتويها بحوث قائمة تدل على أن المصريين اختاروا - فيما اختاروا - من ظواهر لهجات القبائل العربية التي وفدت الى مصر ما وافق طبيعتهم وكونوا به لهجتهم التي لا تزال قائمة حتى اليوم ، أما لبناتها وأصولها فمرسومة في نصوص أوراق البردي العربية من قبل القرن الثاني الهجري .

وفضلا من بعض الملاحظ اللغوية ، فإن نصوص أوراق البردي العربية تدل على عدل العرب في حكمهم مصر ، ورفقهم بمحكوميهم ، وتقوى الله فيهم في تلك المدة من الزمان - ومن أوثق الأدلة ما كتبه القائد الأمير العربي على نفسه حين دخل بجندوه وقد نفذ زادهم فطلب الأمير من عامله الوالى شياة يأكلها جندوه وكتب على نفسه بهذا بما أخذ ومما قال :

بسم الله انا الامير عبد الله اكتب اليكما خريستقورس وتيود وراكيبوس عاملي  
هــراكليوبولس

لامداد المسلمين الذين معي ، اخذت ٦٥ ( خمساوستين ) شاة قبط في  
هــراكليوبولس .

بلا زيادة ولا يضاح ذلك حررت هذا الاقرار وكتبته انا حنا العملة والشماس  
في ٣٠ برمودة من السنة الاولى من البريديوس الاول .  
ثم قال :

## عن أوراق

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما اخذه عبد الله ابن جابر وجنوده من الاشياء  
المخصصة للذبح في هيراكليوبولس اخذنا من هذه الاشياء خمسين \*

من نائب تيود وراكبوس الابن الثاني للأنبا كيروس ومن وكيل خريسطورس  
اكبر اولاد الأنبا كيروس ثم \*

خمس عشرة شاة أخرى اعطاها لتذبح لعاشيته في مراكبه وحياته والراجلين  
المدرسين \*

تحرر في شهر جمادى الأولى من سنة الثنتين ومشرين • كتبه ابن حديدة •  
وتتعلق كلمات هذه الوثيقة بمعدل الأمير القائد العربي واعترافه بالعق وهي  
في غنى عن التعليق في هذا المقام •

وتعتبر هذه البردية اقدم بردية مصرية حتى الآن وهي مؤرخة سنة ٢٢ هـ (٧١)  
وواحدة من مجموعة الارشيد وق رينر بالنمسا •

هذه الاوراق البردية تصور الحياة العربية المصرية - اول عهدنا - اصدق تصوير  
لان نصوصها كتبت بالبحر امور الحياة ، واستجابة لضرورتها - ولم يقصد فيها الى  
تأليف ، وما يلزم التأليف من اختيار وتنسيق ، انما كتبها الناس وهم على طبيعتهم  
فصورت حياتهم اصدق تصوير •

والامل معقود على ان تقرأ بقية الاوراق - وحينئذ تتضح معالم هذه المدة في تاريخ  
الامة العربية ، بل تضاه جوانبها ومداخلها وتتكشف حقيقتها باولق الأدلة والاقوى  
البراهين •

دكتور

عبد العزيز الدالى

البردى العربية

## المراجع

- ١ - بشار ، فتح العرب لمصر ، غربة محمد فريد أبو حديد ، ط دار الكتب بالقاهرة ١٩٢٥ م ص ١٥٦
- ٢ - ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، نشر تروى ، ط ليندن ١٩٢٠ م ص ٤٦
- ٣ - Grohmann. A, From the World of Arabic Papyri, -  
Cairo, 1952 p. 8,10
- ٤ - نجيب إبراهيم ، مصر والشرق الأدنى القديم ، ط الاسكندرية ١٩٣١
- ٥ - سليم حسن ، الأدب المصري القديم أو أدب الفراشة ط القاهرة ١٩٤٥ م ٢٧/١
- ٦ - السيوطي ، حسن المعاصرة ط القاهرة ١٢٩٩ هـ ٢٢٦/٢
- ٧ - ١ - ابن البيطار ، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ط القاهرة ١٢٩١ هـ ٨٧/١  
Winter, J, Papyrology ( its Contributions and Problems )  
Michigan Alumnus. Quarterly Riview, Summer  
1936. vol 42 No 23 P. 234
- ٨ - Pliny, Natural History vol 4 -  
translated by H.Hackim, London 1952 P. 234
- Lucas .A, Ancient Egyptian Materials and  
Industries, London. 1934
- ٩ - Grohmann. A, From the world of Arabic Papyri, -  
Cairo, 1952 P. 1
- ١٠ - Grohmann. A, Allgemeine Einfuehrung in die ara-  
arabischen Papyri, Wien. 1924
- ١١ - عبد الله خورشيد البري ، القبائل العربية بمصر وآثارها في الأدب في القرون الثلاثة  
الأولى للهجرة رسالة ماجستير ١٩٥٦ م
- ١٢ - محمد كامل حسين ، في الادب المصري الاسلامي ط القاهرة ١٩٣٩ م ص ١٣
- ١٣ - المرجع نفسه ص ٣٠ ، ٢١
- ١٤ - السيوطي ، جلال الدين ، حسن المعاصرة ، ط القاهرة ١٢٩٩ هـ ٢٢٦/٢
- ١٥ - محمد كامل حسين ، في الادب المصري الاسلامي ط القاهرة ، ١٩٣٩ م ص ٢١ - ٢٣
- ١٦ - ابن التديم ، الفهرست ، نشر فلوپ ط ليزج ١٨٧١ م ص ٢٤٢
- ١٧ - الفريزي ، الواظف والامتنار بذكي الخطط والانار ط القاهرة ١٢٧٠ هـ ٢٢/١
- ١٨ - Quatremère, Recherche sur la Langue et la  
Littérature de L'Egypte, Paris 1806 p. 34
- ١٩ - الكندي ، الولاة والقضاة ، نشر جست ط بيروت ١٩٠٨ م ص ١١٣
- ٢٠ - Lane Poole, History of Egypt in the Middle  
Ages, London 1925 P. 15
- ٢١ - Grohmann. A. Apercu de papyrologie arabe, études  
de papyrologie, Société Royale  
Egyptienne de Papyrologie. Tome 1 1e  
Caire 1932 P. 28.